على قارعة الطريق

صور من الجيل الجديد

للأستاذ سيد قطب

١ — تلميذة

لقيتها منذ عام واحد صبية أقرب إلى أن تكون طفلة . كانت في السنة الرابعة الابتدائية ، تلميذة لأحد الزملاء ... وكان مني حينما تقدمت هي إليه لتحييه تحية التلميذة للاستاذ في الطريق ، وسلمت عليّ معه في براءة .

واليوم لمحتها . لا في الطريق ، ولكن في محل عام من محال «السندوتش» وغير السندوتش أيضاً ! لم تكن وحيدة . كان معها رفيق تلمع على كتفيه نجمة ... قلت لعله أخوها أو قريبها فما تجرؤ طفلة على الجلوس هكذا في ركن منعزل خفي عن الأنظار ، مع غير قريب !

ولم ألق بالا إلى الأمر بعد النظرة الأولى . ولكن ماذا ؟ هانذا أسمع أصواتاً فيها شيء . شيء غير حديث الإخوة أو الأقرباء أو ممكن هذا ؟ أو يكون ؟

نعم يكون فنحن في الجيل الجديد !

لم تكن قد رأتني بعد كما رأيتها ، لقد كانت مستغرقة فيما هي فيه . ولكن ها هي ذي تراني ... وأقول الحق كي لا أظلمها ... لقد خجلت وتوردت وجنتاها ! أم لعلهما قد توردتا لسبب آخر ؟

على أية حال لقد همست له ، وهمس لها . ثم إذا هما ينسحبان ... أأكون قد عكرت عليهما الجلسة «البريئة» ... ؟ ربما أكون !

٢ — عذراء

كان يقف في محطة الترام ، وقد غاب . كان يقطع الطوار جيئة وذهوبا من ملل الانتظار . وفجأة يرفع عينه إلى شرفة المنزل الفخم المقابل فتقع عينه على فتاة .

لم يكن يريد شيئا حينما رفع يده يمر بها على موضع شاربه ! كانت حركة آلية شبه غريزية في هذه الفاجأة . ولكنه وجد يدها ترتفع بالتحية ، ولما كان الموقف كله هزلا في نظره ، فقد تحرك حركة غريزية أخرى ، حرك أصبعه للاستدعاء !

قلت : رواية البيت هي :

أحمد ربّاً ساقني إليكا

وبعده :

الحمد والنعمة في يديكا

وقبل الأول :

قلت ونسجي مستجد حوكا

وعندي أن (صاحب الدعوة) هي صاحب الدولة وإن جاءت الدعوة في كتب كثيرة .

* في ج ٧ ص ٢٥٠ فأما أخونا أبو الحسين قريبه ـ أعزه الله ـ فقد ألزمني بإخراجه إلى أعظم منة .

قلت : ضبطت (أعظم) بالكسر كأنها مجرورة بإلى ، وجوزت كسره عند ضابطه الإضافة . والقول هو : ألزمني بإخراجه إليّ أعظمَ منة . يقال ألزمته الشيء فالتزمه كما في الصحاح وغيره ، وألزمه به كما في التاج ، ولم يرد ألزمه إلى الشيء .

والجملة من رسالة للصاحب بن عباد إلى أبي علي الفارسي وقد جاء فيها :

« والشيخ — أدام الله عزه — يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته ، بعبارة ما افتتح من البر بمكاتبته ، ويقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه »

وكلام الصاحب هذا مطرب مثمل[1] . وأبو علي هو « أوحد زمانه في علم العربية ، كان كثير من تلامذته يقول : هو فوق المبرد » كما روى ياقوت في كتابه . وما القول في إمام ، ابن جني تلميذه ؟

(١) الأساس : وأثملهم الشراب .

واختفت من الشرفة ، لتمضي دقائق قليلة ، ثم يحدها بعد ذلك على الطوار !

لقد ارتبك قليلا . ولكنه تماسك ليرى ! فما كان يخطر على باله أن يتم الأمر كله بهذه السهولة . ومن يدرى لعلها لم تلحظ إشارته ولم تحس بوجوده وإنما هي تمضي لشأن خاص .

وقال كلمة عابرة ، مما يقوله الشبان للفتيات . وما كان أشد دهشته حين أشارت إليه أن يصمت هنا وأن يمضي هناك .

إنها لتلحظه هنا كل صباح . وإنها لتعرف أنه مدرس في المدرسة الثانوية بالحي ، وأنه خاطب ليتزوج . فأين هي « دبلة » الخطوبة ؟

واستمر في عمله فقال : لقد عدلت نهائيا عن الزواج . فما راعه إلا أن تقره فتاة على هذا العزم . لأن الطلاقة هكذا هي أليق الأوضاع !

والتقيا مرتين قبل أن ترافقه إلى داره ! ...

وفي الصباح سأل في سخرية : ألا تتزوجيني ؟ قالت : لا . إن أبي مستشار ، ولن يرضى بالمدرسين !

وسألته عن شاب آخر يدرس معه في المدرسة نفسها : ما اسمه وأية مادة يدرس ؟

وواعدته مرة ثم أخلفت الميعاد !

وبعد يومين شاهدها مصادفة ... برفقة ذلك الشاب !

إنها من الجيل الجديد ...

٣ — خطيبة

جلسا قبالتي في ترام رقم ١٥ ، وكنا ثلاثة في الحجرة ، كان يبدو عليه شقف وفتنة ، وكان يبدو عليها دلال وإغراء ... إنهما خطيبان . لقد لمحت في أصبعيهما « دبلتين » في اليد اليمنى ...

وسمعتها تقول : الحمد لله إذ كنت موجودا لئلا تظن شيئا !

وقال — في لهجة يخالطها العتاب — : ماذا تقولين ؟ أظن شيئا ؟ ماذا أظن ؟ وافرضي أنني لم أكن موجودا ... اسمعي : إنه لا يمكن أن يجول في نفسي أي شيء عنك . إن على الإنسان أن يبحث عن الأسرة أولا وعن الأم ثانيا ... ثم يثق ، فلا يفتش بعد ذلك أبدا . !

وتبادلا النظرات في إغراء ...

ونزل في محطة وتابع الترام سيره ...

ثم يصعد في المحطة التالية مباشرة رجل آخر يأخذ مكان الرجل الأول . فتتصافح الأيدي والعيون والأجسام أيضاً ... ويسأل : أين نزل ؟ فتجيبه وهي تغمز : في المحطة السابقة . فيعقب هذا ضحكة مشتركة ساخرة ... ثم يأخذ وجهها طابع الجد ، وهي تقول :

إنت عارف « ياسوسو » أنني قبلته من أجل خاطرك انت !

فيجيب وهو يربت على يدها بين يديه :

« معلهش » ياميمي ... « برقان كويس » !

٤ — زوجة

كنت أعرفها سيدة فاضلة . وكانت تزور أسرة أخرى أعرفها بنظام واطراد ... ثم انقطعت عنها فلم أعد أراها هناك .

قلت لها : لم لا تزورين بيت فلان ؟

فترددت هنيهة ، ثم انطلق لسانها ... لسان حواء !

قالت : لأنني أخجل أن أقابل فلانا هذا ، بعد ما اتخذتني زوجته ستاراً لأشياء ، وهو يثق بي فلا يفكر في هذه الأشياء .

وانطلقت تحكي :

لقد كانت يوما ما هناك ، ثم استأذنت مبكرة لأنها تنوى الذهاب إلى الخياطة ... وما كان أسرع الزوجة لأن ترجوها في الانتظار هنيهة حتى تتهيأ للخروج معها إذ أنها قد غاضبت خياطتها وتود أن تعرف خياطة جديدة .

ولم يمانع الزوج بطبيعة الحال ، فخرجتا بعد قليل .

ولم تكن صديقتها لتشك في أنها تعني ما تقول . فلهذ دهشت حينما فاجأتها الصديقة بعد خطوات بالاستئذان منها بعد أن قامت بمهمتها ... وأنها تقصد إلى جهة أخرى .. إلى موعد « برىء » !

وقالت الصديقة المدهوشة : ولكن يافلانة ما الذي تنقمين من زوجك ، وهو رجل مهذب ، ومركزه الاجتماعي كبير وسيرته معك طيبة ؟

وقالت لها الزوجة : حذار أن تفهمي أنني أنقم من زوجي

شيئا . إنه ما تقولين وأكثر . وإنه لوالد أطفالى ، ورب بيتى ... ولـكن يافلانة .. لا بد من التغيير بين الحين والحين !!!

وفغرت الصديقة فاها عجبا ... فما راعها إلا الزوجة تقول : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى ! نحن فى جيل جديد !!

٥ — أم

قلت له : لماذا فصمت الخطبة ، وقد كنت معجبا بالفتاة ؟

قال : أمُّـها !

قلت : ومالك أنت وأمها إذا أعجبتك ذاتها ؟

قال : فإذا شاءت هذه الأم أن تغلب ابنتها ؟

قلت : ويحك ! أهى ألغاز ؟

قال : كلا ! هو ما أقوله لك .

قلت : اتق الله ! ولا يبلغ بك العبث هذا المبلغ فى الحديث عن العائلات !

وأقسمَ : إنه لصادق . وإنها لامرأة نصف ، لم تشبع بعد من الدنيا . وإنها لا ترى الحياة إلا صراعا ... ولو مع ابنتها !

ولما كنت أعرف صدق صاحبى — كما عهدته — فقد رحت أحوقل وأستعيذ ، وأخبط كفا على كف ... ثم أقول : دعنا من الأخلاق . فأين الأمومة يا أخى ؟ عاطفة الأمومة ؟

قال : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى . يا مولانا نحن فى جيل جديد !

إنها هكذا تقول !!

٦ — أب

نزل من عربته الفخمة ، وجلس على « البار » الصغير تحت عمارة « الإيموبليا » أمام مفرق الطريق ... جلس ينفض الممرات من بعيد ، ويحملق فى السيقان العارية ، ويتبعها بنظره إلى بعيد !

ثم لمح على مقربة رجلا وفتاة ينتظران انفتاح الطريق للمرور. ورأيت الرجل يشير للفتاة فى حذر وتهيب على هـذا الجالس ، ثم يندفع للتسليم عليـــه فى انحناء ، ويدعو الفتاة لتسلم على عمها فلان بك .

واتسعت حدقتا البك ، واختل توازن عضلات وجهه وهو يبتسم ويحملق ويهز يد الفتاة آن .

وقال : لماذا لم تمر علىّ لتذكرنى بمسألتك ؟

قال الرجل فى تلعثم : البركة فيك ياسعادة البك .

قال : غدا — إن شاء الله — لا بد أن تمر علىّ (ونظر للفتاة) ! — ... والآن تجلسان لتناول شىء ما .

وقال الرجل : متشكرين ياسعادة البك ، وهزت الفتاة رأسها شكراً .

قال سعادة البك : آه . طيب . هنا لا يناسب الجلوس . ولـكن ستأخذان معى الشاى فى « جروبى » غداً إن شاء الله ! وفى الصباح تمر علىّ فى المكتب من أجل مسألتك !

وسلما وانصرفا شاكرين ... والرجل تبرق من الفرح عيناه ونظرت فاذا البك يتقصى تقاطيع جسد الفتاة — ابنة الرجل — وشفتاه تتلمظان وعيناه ! !

* * *

منذا الذى دفع بالجيل إلى الهاوية ؟ منذا الذى جعل هـذه الصور الشائهة تتوالى أمام عينيه دون استنكار ؟

بضعة دواخير ... بعضها يسمى مجلات . وبعضها يسمى أفلاما . وبعضهـا يسمى أغانى تتسور جدران البيوت عن طريق المذياع ... وبضعة « هلافيت » لا يهمهم أن يكون فى البلد فراش نظيف . يسمون أنفسهم من حملة الأقلام !

سيد قطب

ادارة البلديات العامة

تنظيم

يطرح مجلس المحلة الكبرى البلدى فى المناقصة العامة توريد ٧٠٠ أردب شعير و ٣٥٠ حمل تبن وقد تحدد ظهر يوم ١٨ / ٦ / ١٩٤٥ لفتح العطاءات بديوان البلدية ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢٪ من قيمتها .

٣٥٤٢